مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٥/٦/٢

النـــــار .. على القنـــــاة

بدءا بغزوة الهكسوس في العصر القديم ،ومرورا بغزوتي الصليبيين ثم المغول في العصر الوسـيط ، وحتى الغـزوة الصهيونية المعاصرة ،تعرضت مصر للعـدوان المتكرر الذى استهدف تدمير قوتها وتحطيم شخصيتها واطفـاء مشعل حضارتها .

ولقد سلكت هذه الغزوات نفس الطريق عبر شبه جزيرة سيناء لتصل الى وادى النيل الخصيب ، فداهم الخطر مصر دائما من جهة الشرق .

وعندما شقت قناة السويس وافتتحت للملاحة البحرية يوم ١٧ نوفمبر ١٨٦٩، اضفت على طريق الغزو القديم اهميـة جديدة ، اذ وضعـت مجرى القناة فى طريق العـدو ، يستطيع ان يشل بها موقـع مصر ، وان يخـل امنهـا وسلامتها .

ومنذ شقت مصر القنـاة كانت حريصة دائمـا على الاحتفاظ بها صالحة للعمل فى كل الظروف ، الا ان القنـاة حولت المنطقة الى بؤرة صراع لا تخبو جذوته ،اذ دارت حولها وبسببها ثمانى حملات حربية خلال المائة عام الاخيرة .

بمجرد ان حصل دى لسبس على الفرمان الاول بحق شق القناة فى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ ، اشتعل التنافس للفو بين القوتين الكبيرتين وقتئذ ، وتملكت بريطانيا الخشية من ان تنفرد غريمتها اللدود فرنسا بالسيطرة على هذا المعبر الاستراتيجى الهام . وما ان تم تجهيز مجرى القنـــاة لعبور السفن حتى راحت بريطانيـــا تتحين الفرص لاحتلال مصر ، وانتزاع القناة الخالصة لنفسها .

وكانت القناة بالنسبة **للحملة الاولى** التى زحفت عليها فى صيف عام ١٨٨٢ وسيلة الى غاية نهائية هى سيطرة الامبراطوريه — التى لم تكن تغـرب عنهـا الشمس — على شريـــان مواصلاتها الرئيسى الى مستعمراتها الكثيرة المنتشرة فى انحاء المعمورة .

اما **الحملتان الثانية والثالثة** اللتان جاءتا بعدها بثلث قرن ، فقد كانت القناة بالنسبة لهما وسيلة وغاية فى نفس الوقت ، وسيلة تركيا الى اعادة مصر الى املاك السلطان الجالس فى قصر يلدز ، وغاية المانيا بخنق بريطانيا بحرا .

ومر ربع قرن آخـر قبل أن تجىء **الحملة الرابعة** فى صيف عام ١٩٤٢ ، لتعيد الامور الى ما كانت عليـه فى الحملة الاولى ، وان اتى الخطر هذه المرة الوحيدة من الغرب ، عنـدما اندفعت جحافل المحور تطوى ليبيا فى تونس وليبيا تبغى الاستيلاء على القناة كوسيلة الى غاية نهائية وجائزة عظمى ، هى بترول الخليج العربى عن طريق دق اسفين طويل من الجنوب لحركة كماشة هائلة كان اسفينها الشمالى يزحف فى نفـس الوقت حثيثـا عبر سهول اوكرانيا نحو بترول القوقاز .

وعندما تحطم الاسفين الجنوبى فى العلمين فى نوفمبر ١٩٤٢ ، والشمالى فى ستالنجراد فى نفس الشهر ، قضى الحلفاء فى فكى الكماشة ، وحطمـا الاسفينين وهما فى منتصف الطـريق الى غايتهما النهائية .

وجدير بالذكر ان كلتـا الحملتين الثانية والثالثة ، ثم الحملة الرابعة أنجبتا قائدين من ابرز قادة الحرب الخنيفـة الحـركة هما كرس فون كرسنشتاين واروين روميل الالمانيان اللذان قاسيا الكثير من قصور وغباء رئيسيهما المباشرين جمـال التركى السفاح وباستيكو الايطالى المغرور .

وبقيام دولة اسرائيل طـرأ على المنطقة وضع جديد غير من موازينها السياسية والاستراتيجية ، وخاصـة عندما نجحت مؤسستها العسكرية فى ان تمد رقعتها البحـرية لتربط بين البحرين المتوسط والاحمر ، عندالجسر الاستراتيجى البحرى الذى يصل بين القارات الثلاث ، لتنسج به استراتيجية اقليمية عدوانية ، تتطلع الى تمزيق جسم الوطن العربى فى منتصفه ، وفصل مشرقه عن مغربه ، ثم تطويق حافتيه البحريتين من الشمال والجنوب ، بحلقات من التواطؤ والعمالة للجبهات الاستعمارية التى تناصب حركة القومية العربية العداء .

وكادت اسرائيل **بالحملة الخامسة** [١٩٥٦] **ثم السادسة** [١٩٦٧] ان تحول البحر الاحمر الذى تقع على سواحله الشرقية والغربية ست دول عربية ، الى بحيرة اسرائيلية ، كما كادت ان تدق حـدودها فى منتصف صفحة القناة .

وبفضل الرفض العربى للامر الواقع الذى ارادت ان تفرضه اسرائيل بالقوة والبطش ، تركزت الاضواء على منطقة القناة بصورة لم يسبق لها مثيل ، وصارت اخطر بقاع الارض ، واكثرها احتمالا لاشعال نيران حرب عالمية لا تبقى ولا تذر .

كانت القناة فى **الحملة الخامسة** [حرب العدوان الثلاثى على مصر] وسيلة الاستعمار الانجلو فرنسى المتواطىء مع الصهيونية لتحقيق غاية مشتركة هى تقويض صرح القومية العربية القائم فى القاهرة .

ثم كانت **الحملة السادسة** [حرب الايام الستة] وسيلة وغاية لتكريس العدوان الاسرائيلى ، وفرض التوسع عن طريق تغليفه بالقوة والامر الواقع.

وعندما تحولت المنطقة خلال **الحملة السابعة** [حرب الاستنزاف ١٩٦٧ — ١٩٧٠] الى بوتقة مشتعلة ومرجل مضطرم ، عمل الجانب الصهيونى على فرض إرادته ، بينما رفض الجانب العربى الهزيمة ، وانتهز الفرصة ليختبر نظريات واساليب كان قد وطد العزم على انتهاجها لخوض اخطر حروبه قاطبة .

وتوقفت النيران فى اغسطس ١٩٧٠ لتشتعل من جديد فى **الحملة الثامنة** [اكتوبر ١٩٧٣] ، عندما اقتحمت جيوش مصر القناة ، وحطمت حصون بارليف ، وفتحت صفحة جديدة فى سجل الصراع الحافل مع الصهيونية، ورسمت خريطة جديدة لعلاقات القوى فى منطقة الشرق الاوسط .

تكشف النظرة الفاحصة لجوهر هذه الحملات الثمانى ، التى توالت على القناة عن عدة نقاط جديرة بالدراسة

● **بالنسبة لابعاد الحرب الاربعة** كانت القناة وضفتاها مسرحا لتطور القتال من مجرد البعد الواحد او الاثنين الى كافة ابعاد الحرب الاربعة ، اذ مزجت الحملة الاولى بين تكتيكات القتال البرى والبحرى بحكم انها كانت عملية غزو برمائية تقليدية ، بينما اقتصرت الحملة الثانية والثالثة على بعد وحيد هو القتال البرى .

واشتملت الحملة الرابعة على الابعاد الثلاثة بدخول القتال الجوى بكل ثقله الى المسرح ، عندما شدد المحور ضرباته الجوية المكثفة ضد القناة فيما بين يناير ١٩٤١ ويوليو ١٩٤٢ ، ليوقف الملاحة فيها ، فنجح فى ان يمرقل تدفق البواخر عبرها الى ٤٢٪ فقط من سعتها الاعتيادية وقتئذ .

ثم تزايد دور البعد الرابع فى القتال بعد ذلك ، فاستخدمت اسرائيل فى الحملة السادسة كتيبة اقتحام جوى كاملة لتدمير مصادر نيران الدفاعات المصرية فى ابو عجيله ليلة ٥/٦ يونيه ١٩٦٧ ، بينما استخدمت مصر عدة كتائب من ذات النوع للسيطرة على العمق القريب والبعيد من ضفة القناة الشرقية فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

● **وبالنسبة لتكنولوجية عبور القناة** فبقدر ما كانت بدائية وساذجة فى الحملة الثانية ، كانت معقدة ومبتكرة فى الحملة الثامنة . ولهذا كان العبور التركى فاشلا بينما كان العبور المصرى فائق النجاح .

فعلى حين فشل الاتراك فى انزال بضع معديات الى مجرى القناة على

امتداد ست ساعات ، انزل المصريون عدة عشرات منها ، واقساموا عشرة كبارى في نفس المدة . وبينما تعذر على موجة الاقتحام الاولى التركية ان تنقل ٨٠ فردا الى الضفة البعيد فنقلت موجة الاقتحام المصرية ٨٠٠٠ مقاتل.

● **وبالنسبة لوسائل النقل والحركة** فعلى حين استخدمت الحملات الاولى الجياد والبغال والجمال للحمل والركوب وجر المعدات الثقيلة ، اعتمدت الحملات الاخيرة على الميكنة الكاملة في مختلف مجالات التحرك والمناورة القتالية والادارية ، كما استخدمت الطائرات والهليوكبتر على نطاق واسع ، فارتفع معدل التقدم اضعافا مضاعفة .

● **وبالنسبة لديناميكية القتال** فقد كانت هذه الحملات جميعا اما حروبا قصيرة الامد او حروبا خاطفة ، فيما عدا الحملة السابعة [حرب الاستنزاف] التى انفردت بشكل ومضمون واهداف جد مختلفة عما سبقها او لحقها من حروب .

● **وبالنسبة للتكاليف المادية** ان خسارة بريطانيا مثلا فى الحملة الاولى عام ١٨٨٢ لم تتجاوز خمسة ملايين جنيه ، بينما زادت خسارة اسرائيل فى الحملة الاخيرة [١٩٧٣] على خمسة بلايين دولار .

الحملة الاولى . الغزو البحرى البريطانى لمصر عام ١٨٨٢

كانت الخطة التى عرضها الجنرال جارنت ولسلى على مجلس الوزراء البريطانى يوم ٣٠ يونيه ١٨٨٢ تقضى باقتحام القناة عنوة من كلا طرفيها في وقت واحد ، وبمجرد ان تبلغ الاسماعيلية ، تنزل القوات الى البر، وتزحف على القاهرة من طريق الزقازيق.

وكان جلادستون رئيس الوزراء شديد المعارضة لتلك الخطة ، الا ان باقى وزرائه واقطاب حزبه اصروا على احتلال القناة ، التى كان اللواء محمود فهمى باشا رئيس الاركان المصرى دائم المطالبة بسدها منذ ان انفجرت الازمة مع بريطانيا .

وبمجرد ان أتم الفريق راشد حسنى اقامة الخطوط الدفاعية بين الصالحية والسل الكبير ، صدرت التعليمات باحتلالها على عجل بحوالى عشرة آلاف مقاتل وستين مدفعا .

وفى يوم ٢٢ يوليو أمرت الحكومة البريطانية الادميرال سيمور باحتلال بورسعيد والاسماعيلية وتمهد دلسبس لعرابى بعدم استخدام القناة بغزو مصر ليصرفه عن ردها ، الا ان البارجة اوريون دخلت القناة يوم ٢٦ ، والقت مراسيها فى بحيرة التمساح صباح اليوم التالى .

ووصل الادميرال هويت الى السويس قادما من الهند على رأس اسطول من اربع سفن حربية ، بينما وصل الادميرال هوكنز الى بورسعيد على قوة الغزو الرئيسية القادمة من بورتسموث .

واتم هويت احتلال السويس فجر يوم ٢٩ يوليو ، ثم راحت الامدادات تتدفق عليه من الهند .

والتجأ المراقب المالى السير كولفن الى احدى سفن الاسطول ومعه الخزينة المصرية ، ثم حذا حذوه أعضاء لجنة صندوق الدين ، فتركوا الحكومة

المصرية مفلسة تماما .

وعندما بلغ ذلك مسمع الاهالى ، نشطت بينهم حركة التطوع ، كما راحت الاموال والمؤن تنهال على مرابى باشا .

وفى ٢١ اغسطس وصل الجنرال ولسلى الى الاسماعيلية على رأس قافلة الغزو ، ومرعان ما استولى على خط السكة الحديد ، وعلى ترعة المياه العذبة .

ووقع الاشتباك الاول بين الطرفين فجر يوم ٢٣ اغسطس عند نفيشه ، وتقدم ولسلى بعدها على رأس ١٣ الف مقاتل وستين مدفعا نحو المسخوطه حيث وقع محمود باشا فهمى اسيرا فى يده ، فكانت خسارة فادحة لجيش مصر .

ووأصل ولسلى التقدم الى المحسمه التى احتلها واستولى فيها على سبعة مدافع وقطار ذخيرة .

وفى يوم ٢٨ اغسطس هاجم القصاصين فدار القتال العنيف حتى الهزيع الاخير من الليل .

وشن راشد باشا حسنى الهجوم المضاد يوم ٩ سبتمبر ، ونظمه فى شكل نصف دائرة احاطت بجناحى القوات البريطانية وانزلت بها خسائر فادحة ، الا ان تفوق البريطانيين العددى اجبره فى النهاية على الارتداد .

كانت خطوط الدفاع فى التل الكبير تبدأ عند شريط السكة الحديد وتمتد شمالا لمسافة ٦ كيلومترات . ولم تكن الخنادق المحفورة بعرض مترين وعمق متر واحد محكمة الوضع ولا قادرة على صد الاعتداء .

وعندما اطبق ولسلى على التل الكبير من جهة الشمال فوجىء به المصريون ، ودارت المعركة مع ضوء الفجر الخافت صباح ١٣ سبتمبر ، وسرعان ما انهارت الدفاعات ، وارتد عرابى الى القاهرة فبلغها عند الظهر .

ودخل ولسلى الزقازيق مساء نفس اليوم ، ثم بلبيس صباح اليوم التالى ، وسقطت العاصمة ظهر يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ، وبدأ الاحتلال البريطانى المؤقت لمصر ، الا انه دام ٧٤ عاما طوالا .

الحملة الثانية
فبراير ١٩١٥

بمجرد ان بدأت الحرب العالمية الاولى قام الجنرال ويلسون بتنظيم الدفاع عن القناة ، فقسمها لهذا الغرض الى ثلاثة قطاعات ، ونشر على ضفتها الشرقية عدة نقاط حصينة ، كانت تتصل بالدفاعات الرئيسية فى الضفة الغربية بالمعديات .

ولقد وجه الى هذه الخطة نقدا مريرا من مجلس الحرب الذى اتهمها بانها تركت القناة تدافع عن القوات بدلا من ان تذود القوات عن القناة .

وفى منتصف شهر يناير ١٩١٥ بلغ حجم القوات التركية الالمانية التى تجمعت حول بير السبع لغزو القناة ٢٠ الف مقاتل ، يرافقها عشرة آلاف جمل لحمل التموينات والمياه والذخائر .

وكان العقل المدبر وراء هذه الحملة العجيبة ضابط بافارى شديد الكفاءة عالى الهمة هو كرس فون كرسنشتاين .

واختلف الهدف بين الالمان والاتراك ، فكانت القناة بالنسبة للالمان غاية

يأملون تخريبها ومنع الملاحة عبرها في وجه البريطانيين ، بينما كانت للاتراك وسيلة الى غاية هي اعادة امتلاك مصر .

واختار جمال باشا طريق الموجة الاسماعيلية ليدفع عليه قوة الهجوم الرئيسية ، بينما تحركت قوات قليلة عن طريقي رفح القنطرة ، والكونتلا الشط لتأمين جانبي الهجوم ، وخداع البريطانيين عن اتجاه الهجوم الرئيسي ، تماما مثلما فعل الاسرائيليون في الحملتين الخامسة والسادسة .

وعلى امتداد يومي ٢٦ ، ٢٧ يناير هاجم الاتراك النقط البريطانية في اقصى جناحي الخط الدفاعي عند القنطرة شمالا والكوبرى جنوبا ، وذلك اجذب الانظار بعيدا عن مكان الضربة الرئيسية التي اعتزموا توجيهها عند الدفرزوار .

واتخذ الاسطولان البريطاني والفرنسي مواقع اطلاق النار على طول امتداد القناة ، وذلك في أول فبراير .

وانتظر الاتراك وصول مدفعيتهم الثقيلة دون جدوى فقرر كرسي شن الهجوم في تمام الساعة الثالثة من فجر يوم ٣ فبراير دون انتظارها . وأمكن تحت ستر الظلام وبفضل تماريح الارض ان تصل المعديات الى صفحة الماء ، ولكنها بمجرد ان ركبت فوقها القوات واستعدت للعبور انهال عليها جحيم من النيران المصوبة من الضفة الغربية ، فتكت بالمعديات ومن عليها ، ولم يسلم منها سوى ثلاث معديات وقعت بافرادها في الاسر .

ورغم فشل الهجوم الاول بهذه الصورة المزرية فقد اعاد كرسي الهجوم في ضوء النهار ، الا انه لم يكن اسعد حظا ، وبدأ الاتراك الارتداد العام عند حلول الظلام ، وعاد الجميع على كل الطريق الى بير السبع .

الحملة الثالثة
يوليو ـ اغسطس ١٩١٦

تحرك كرس فون كرسنشتاين مرة ثانية في اوائل يوليو ١٩١٦ ، وكانت قواته هذه المرة مشكلة من فرقة اناضولية ووحدة الباشا رقم ١ ، وكان مجموعها ١٦ الف مقاتل ، ١٢ الف بندقية ، ٣٠ مدفع ، ٣٨ رشاش .

كان الهدف من المحاولة الثانية هو الوصول الى مشارف القناة حيث يتيسر ضربها بالمدافع لسدها وتعطيل الملاحة .

وتحركت القوة الاساسية من بير السبع فوصلت بئر العبد في ١٩ يوليو ، حيث علم الانجليز بمقدمها فقاموا بتدعيم دفاعات رمانة بالفرقة ٥٢ ولواء من الفرقة ٥٣ يساندها ٣٦ مدفعا ٤ بوصة . وفي يوليو انضمت الفرقة ٤٢ الى الدفاعات ، ووضعت الوينها على هيئة مروحة بين رمانة والقنطرة .

ويندر ان نجد معركة سارت كما توقعه قائدها تماما ، فقد كان الجنرال لورنس واثقا من ان الاتراك سوف يحاولون تطويق جنبه الايمن اولا كما كان مونتجمري واثقا من ان روميل سوف يطوق جنبه الايمن أيضا في معركة حلفا في اغسطس ١٩٤٢ .

وفي مساء ٣ اغسطس تبع كرس وجنوده لواء الفرسان الاسترالية عند انسحابه غربا بنية مباغتة الانجليز ،

الا ان يقظة الدفاعات فوتت عليه الفرصة ، وقابلت قواته بوابل من النيران ردتهم على اعقابهم . وكرر كرس المحاولة على امتداد يوم ٤ اغسطس فتمكن من ضغط الخط الدفاعى البريطانى للخلف ، وضرب وسطه وميمنته بالمدفعية .

وعندما شن الانجليز هجومهم المضاد اضطر كرس الى الانسحاب ، وقاتل طوال يومى ٦ ، ٧ اغسطس فى عمليات تعطيلية بمهارة فائقة ، حتى وصل الى بير العبد يوم ٩ ، ثم الى العريش يوم ١٦ .

وبفشل الهجوم التركى الثانى على القناة زال الخطر عليها من الشرق ، ولكن الى حين .

الحملة الرابعة
يوليو ـ اغسطس ١٩٤٢

وبعد ٢٦ عاما ، وفى نفس الاشهر بدت نذر الحملة الرابعة تتجمع فى الغرب ، عندما منى الجيش الثامن البريطانى بهزيمته الفاضحة فى ذلك السبت الاسود ، ١٣ يونيو ١٩٤٢ .

ولم يعد بين روميل وجائزته الكبرى فى الخليج العربى سوى عبور نهر النيل ، ثم الاستيلاء على قناة السويس فاما النهر فقد ظهر من خريطة روميل الشخصية التى رسم عليها خطته أنه كان يأمل أن يعبره فوق كبارى الجيزة والجزيرة التى كان على قواته الخفيفة أن تستولى عليها سلمية . واما القناة فكان على فيلقة « البانزر » أن يندفع اليها من القاهرة بأقصى سرعة ، ليقبض على زمام الامور فى السويس والاسماعيلية .

وبينما كانت جحافل الالمان تتقدم دون أن تصادف مقاومة تذكر ، كانت القيادة البريطانية تحرق وثائقها وتستعد حثيثا لاخلاء القاهرة والانتقال الى الخرطوم .

ولكن روميل صادف بندقة صلبة فى طريقه ، اذ قابلته القوات البريطانية المرتدة عند مضيق العلمين الذى كان الفريق عزيز المصرى قد نصح عند بداية الحرب بتحصينه . وبفضل هذه التحصينات تمكنت الفلول المرتدة من أن تقيم دفاعا مريحا ، وأن تصد الالمان .

وتأرجحت مصائر البشر مع تأرجح بندول الحرب صعودا وهبوطا فى جبهة العلمين .... وكان بندول آخر لابد منه خطورة يتأرجح فى الشمال عند ستالينجراد .. وفى شهر نوفمبر كان الحظ قد قرر التخلى عن الالمان تماما ، فاندحرت جيوشهم ، وارتدت مقهورة من العلمين ومن ستالينجراد ، وابتعد الخطر عن القناة .

الحملة الخامسة
اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٥٦

ليس فى سجل الحروب ما يفوق العدوان الثلاثى على مصر خسة ونذالة ، اذ اعتزمت بريطانيا وفرنسا أن تبعدا شبح الحرب عن القناة ، فلم تجدا وسيلة الى ذلك الا أن تضربا مصر ـ المعتدى عليها ـ فتدمياها !

ولكنه التواطؤ المعيب الذى انزلقت اليه دولتان كانتا فيما سلف .... كبارا .

مدين جوريون من اسرائيل يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٥٦ أن :

● تقوم القوات الاسرائيلية بخلق حالة صراع على ضفاف قناة السويس تستغلها بريطانيا وفرنسا ذريعة للتدخل العسكرى ضد مصر .

● توفر القوات الجوية الفرنسية الحماية لسماء اسرائيل ، كما توفر القوات البحرية الحماية لسواحلها .

● تصدر بريطانيا وفرنسا انذارا مشتركا الى مصر واسرائيل ، ويصاغ نصه بحيث تضطر مصر الى رفضه .

● تقوم القوات الجوية الانجلو فرنسية بتدمير طائرات ومطارات مصر ودفاعها الجوى .

● تستدرج اسرائيل الجيش المصرى الى أعماق سيناء ، لتطبق القوات الانجلوفرنسية على مؤخرته على امتداد قناة السويس ، وتقفل عليه باب الفخ ليهلك فى مفارز سيناء الجدباء ، وينفتح الطريق على مصراعيه الى القاهرة .

● يجتمع اطراف التواطؤ لتقسيم الغنيمة ورسم خريطة جديدة للمنطقة .

وحشدت اسرائيل للعدوان ١٨ لواء و١٦ كتيبة مدفعية و١٩٢ طائرة من مختلف الانواع بينما حشدت انجلترا وفرنسا ١٠ ألوية ونحو ٨ كتائب مدفعية وبارجة ، وسبع حاملات طائرات ، وثمانية طرادات ، واربعين مدمرة وفرقاطة ، وعشر غواصات ، وزهاء ٢٠٠ طائرة من مختلف الانواع .

وبدأت الحرب باسقاط كتيبة مظلات اسرائيلية فوق ممر متلا فى الساعة الخامسة عصر يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ، لتخلق الذريعة ، ثم تقدمت ثلاث مجموعات عمليات اسرائيلية صوب الحدود الشرقية عند الكونتلا والموجة ورفح .

وفى الساعة السابعة من مساء ٣١ اكتوبر انقضت الطائرات البريطانية والفرنسية على مطارات مصر فدمرت الطائرات وقفلت المطارات ، وحققت السيادة الجوية فى سماء المعركة .

وفى منتصف الليلة ، بعد ان ايقنت مصر من حقيقة التواطؤ وما يحاك لها فى الخفاء ، صدر قرار الانسحاب من سيناء ، نقل الدفاع الى المثلث الاستراتيجى بورسعيد ـ السويس ـ القاهرة للدفاع عن القناة ومصر ضد العدوان الانجلوفرنسى الوشيك .

وفى الساعة السادسة صباح يوم ٤ نوفمبر هاجمت الطائرات سماء بور سعيد وقصفت دفاعاتها ، ثم تبعتها يوم ٥ بالهليكوبتر ثم بالمظلات

وفى السابعة من صباح ٦ نوفمبر بدأ الغزو البحرى الانجلو فرنسى الذى كان ايدن شديد الاصرار على توجهه ضد بور سعيد لتتم حبكة مؤامرة التواطؤ ، بقدر ما كان سلفه جلادستون شديد النفور من أن تصلك حملته هذا الطريق . ولم يستطع الجنرال كيتلى قائد عام قوات الغزو أن ينطلق من منطقة بورسعيد حتى صدور قرار ايقاف النار من مجلس الامن فى الساعة الثانية من بعد منتصف ليلة الاربعاء ٧ نوفمبر . وبفشل العدوان الثلاثى انسحبت القوات الانجلوفرنسية من بورسعيد فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ ، والاسرائيلية من سيناء وقطاع غزة فى ٦ مارس ١٩٥٧ .

الحملة السادسة

يونيو ١٩٦٧

كأنما كانت حرب العدوان الثلاثى

تجربة عملية لحرب الايام الستة التى جاءت بعدها بعشر سنين .

وبنفس الخطة ، وعلى نفس المحاور ، ولنفس الاهداف شنت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية العدوان مرة أخرى ، وان استهلته هذه المرة بالضربة الجوية المركزة التى اطلقتها فى صباح ٥ يونيو ، فدمرت بها قوات مصر الجوية وهى جاثمة فى مطاراتها .

ثم انطلقت مجموعات العمليات الثلاث نحو القناة على نفس المحاور المعهودة ، فوصلتها بعد اربعة أيام ، واقامت على ضفتها الشرقية خطها الدفاعى الامامى ، الذى تحول بمضى الزمن الى قلعة منيعة ، اطلقت عليها اسم خط بارليف .

وابتلعت اسرائيل فى نهاية هذه الجولة ثلاثة امثال مساحتها من ارض العرب ، ووصلت الى خطوط جغرافية جديدة ، راحت تنادى أنها الحدود الامنة ، وانها خير ما يوفر لها السلامة .

الجولة السابعة
يوليو ٦٧ـ يوليو ٧٠

شغلت الفترة بين يوليو ١٩٦٧ ويوليو ١٩٧٠ بالجهود المضنية للعبور من ظلام الهزيمة الى نور النصر ، فأعادت القوات المسلحة المصرية البناء من الاساس ، وواصلت التدريب الشاق والتخطيط الجاد لمعركة حتمية تحرر بها الارض وتستعيد الحقوق .

ووقعت بعض الملاحم التى كانت أولاها معركة رأس العش فى ١ يوليو ١٩٦٧ ، واثبتت ان نكسة يونيو لم تؤثر فى ارادة المقاتل المصرى ، وان الجندى الاسرائيلى ليس هذه الاسطورة التى رددتها عنه الدعاية الصهيونية المغرضة .

وفى ١٤ يوليو دارت معركة جوية ضارية تعادل تماما ، اذ كان يظن أن قواتنا الجوية لن تقوم لها قائمة قبل عدة سنين .

وعلى البحر كان اغراق المدمرة ايلات يوم ٢١ اكتوبر بأول صاروخ موجه فى تاريخ الحروب بداية التغيير فى نظريات الصراع البحرى .

ثم اشتعل العراشق بالنيران عبر القناة ، ودكت المدفعية المصرية ٨٠٪ من خط بارليف الاول .

واستمر القتال نشيطا فى البر والبحر والجو ، وبالاعمال المدانية الجسورة ، حتى قبلت مصر وقف اطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ .

وعلى التو ، تحولت آلة الحرب العربية الى التجهيز والاعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ .

الجولة الثامنة
اكتوبر ١٩٧٣

لم تكن هذه الجولة سببا فى وصول العدوان الى ضفاف القناة مثل ما سبقتها ، ولكن فى رحيله بعيدا عن ضفافها .

وقد فصل السادس من اكتوبر بين مرحلتين من مراحل الصراع العربى الاسرائيلى ، وكانت اللحظة التى بدأ فيها القتال أخطر اللحظات فى تاريخ العرب الحديث .

لقد تحدد الهدف ليكون هزيمة القوات

الاسرائيلية والاستيلاء على مناطق حيوية تهيىء الظروف لاستكمال تحرير الارض ، وتشكل عنصر ضغط لفرض الحل العادل لمشكلة الشرق الاوسط .

وكان على القيادة الاتحادية أن تخطط للهجوم من جبهتى الشمال والجنوب فى وقت واحد ، حتى تفسد على اسرائيل أسلوب العمل من خطوط داخلية ضد الجبهات العربية تباعا ، وهو الاسلوب الذى مارسته بنجاح فى جولاتها السابقة .

وكان على القيادة الاتحادية أن تحقق المفاجأة وتنتزع المبادأة من اسرائيل للمرة الاولى ، لتحرمها من فرصة التعبئة الشاملة ، ومن مزايا توجيه الضربة الاولى، أو مادرجت على تسميته نفاقا بالحرب الوقائية .

وعندما أشارت عقارب الساعة الى الدقيقة الخامسة من بعد الثانية عصر ٦ اكتوبر هدرت نيران الفى مدفع على طول القناة ، كما انطلقت مائتان وخمسون طائرة تشق كبد السماء نحو أهدافها المنتخبة بعناية .

وتحت ستر هذه النيران الكثيفة التى تهز وزنها ثلاثة آلاف طن على امتداد فترة التمهيد النيرانى تأهبت القوات للهجوم .

وبدأ العبور فى تمام الساعة الثانية والثلث ، ليثأر العرب ، وليستردوا الارض والحق .

وسرعان ما تتابعت الاحداث على امتداد ٢٣ يوما كانت مشحونة بأخطر الامور .

وعندما توقفت النيران ، كانت القناة بضفتيها فى قبضة مصر فيما عدا جيبا هشا اقامه العدو فى الضفة الغربية لاغراض دعائية ، سرعان ما سحبه شرقا عند اول بادرة .

كانت حرب أكتوبر هى المرة الاولى التى مارس فيها العرب حرفة الحرب باقتدار ، فانتزعوا من اسرائيل بعد صبر طويل — نصرا كان توأمه المفاجأة والمبادأة والحشد والتعاون والمناورة والشجاعة والثقة بالله وبالنفس ..

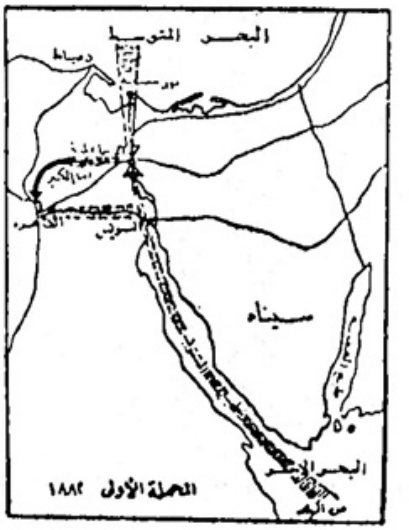
البحر المتوسط
دمياط
السويس
سيناء
البحر الأحمر
الحملة الأولى ١٨٨٢

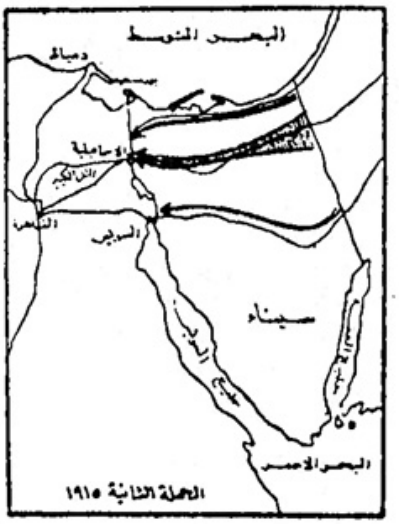
البحر المتوسط
دمياط
الإسماعيلية
السويس
القاهرة
سيناء
البحر الأحمر
الحملة الثانية ١٩١٥

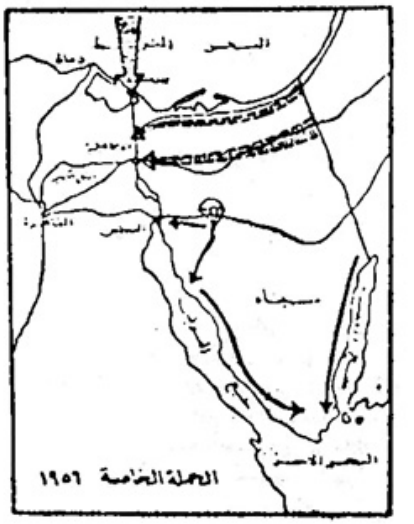
البحر المتوسط
دمياط
السويس
سيناء
البحر الأحمر
الحملة الخامسة ١٩٥٦

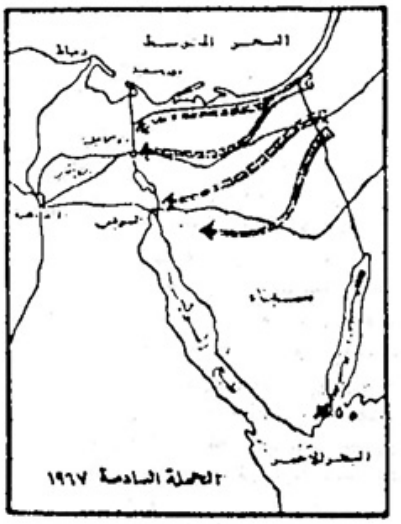
البحر المتوسط
دمياط
السويس
سيناء
البحر الأحمر
الحملة السادسة ١٩٦٧

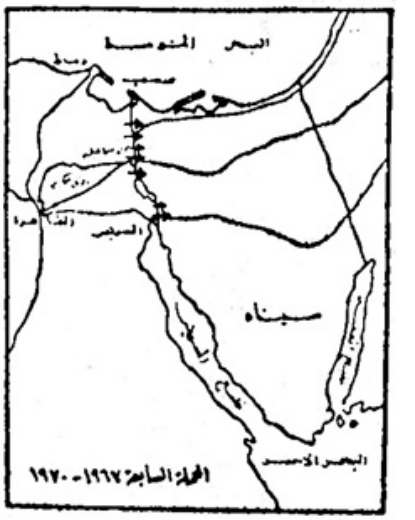
البحر المتوسط
دمياط
السويس
القاهرة
سيناء
البحر الأحمر
الحملة السابعة ١٩٦٧-١٩٧٠

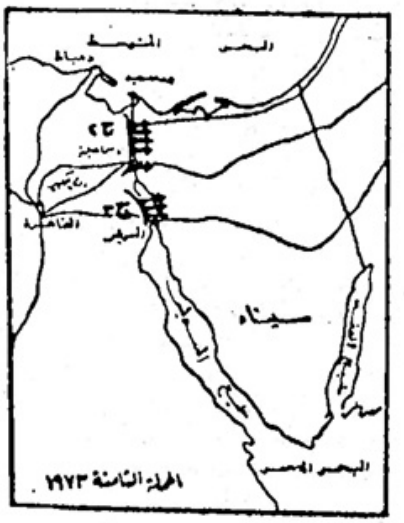
البحر المتوسط
دمياط
الإسماعيلية
السويس
القاهرة
سيناء
البحر الأحمر
الحملة الثامنة ١٩٧٣

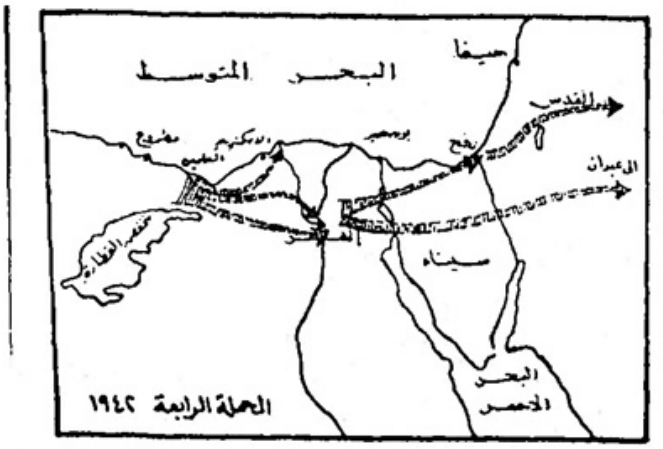

الاسطول البريطانى يتجمع أمام بورسعيد عام ١٨٨٢ : صورة من أولى الحملات

المجنود المصريون بعد أن عبروا القناة يتقدمون الى العدو الغاصب شرقى القناة فيحطمونه ويحصلون على طوابير من الاسرى : صورة اخر الحملات